عبدالله كوران شاعر الكرد والانسانية

علوان السلمان

إنه صوت أشهر ممثلي الشعر الكردي المعاصر من حيث الاسلوب الفني والوحدة الموضوعية بين الشكل الفني والمضمون الانساني مع تناغم الفكر والاحساس ووضوح الرؤية .. انه الشاعر (عبدالله كوران) الذي استطاع بصوته الانساني اختراق الآفاق وايصال الشعر الكردي بمضمونه الاجتماعي الى المستوى الفكري واغنائه بأحدث الاشكال والاساليب فرسم صورة شعبه بواقعية متناهية ..فاستحق ان يكون علما بارعا حفظته الانسانية ورددته على الشفاه وترجمته الى لغاتها (العربية والانكليزية والروسية) فظل خالدا في القلوب..

على سطح الدنيا الواسعة
يطوف سطح أغانينا
ويبلغ فحوى اخوتنا
الى شباب وجه الارض اجمع
فلن تغطي سحابة داكنة بعد هذا
وجه الشمس الساطعة
ولن يحجب الخوف
من حرارة وظلام الحرب
عنا الضياء / الآثار الشعرية الكاملة / ص ٤٣٢

إنه الشاعر عبدالله سليمان عبدالله المنحدر من عائلة شاعرة .. المولود في حلبجه عام ١٩٠٤ وفيها أنهى دراسته الابتدائية ثم انتقل الى كركوك لاكمال دراسته هناك والعمل في سلك التعليم الابتدائي من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٢٧ في السليمانية ..ثم عاشر السجون ردحا من الزمن بسبب مواقفه السياسية، إذ سجن عام ١٩٥١ لمدة سنتين .. وبعد إطلاق سراحه تولى ادارة وتحرير جريدة (زين) من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٤ ثم القي القبض عليه فسجن لمدة سنة قضاها في سجن الكوت وبعقوبة و(نكرة السلمان).. تلتها سنة مراقبة في بدرة ..وفي عام ١٩٥٦ اطلق سراحه الا أنه مالبث ان أوقف مجددا فحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات قضاها في سجن السليمانية وكركوك وبعقوبة ..

وفي عام ١٩٥٨ وبعد ثورة تموز استعاد حريته وتولى وظيفة في اسكان السليمانية وتحرير مجلة (به يان) الناطقة باسم أنصار السلام .. ثم انتقل الى بغداد وتولى تحرير جريدة (آزادي) الى جانب تعيينه محاضرا في القسم الكردي في كلية الاداب .. وفي أواخر عام ١٩٦٠ اصيب بمرض خبيث أودى بحياته يوم ١٨ /١١ / ١٩٦٢ مخلفا وراءه ابداعاً لا ينضب في فنون الادب والترجمة والمسرح والاناشيد وقصائد الاطفال .. لقد أدرك كوران حتمية التطور التاريخي .. لذا لم يكن بمعزل عن أحداث الحياة الاجتماعية كونه امتلك موهبة خلاقة ساعدته على اتساع معرفته ونكران ذاته مع كسبه مهارة فنية ونشاطا فكريا متأملا .. فكان شعره مطبوعا بروح عصره .. ومن ثم الابداع في التعبير عن الحقيقة الواقعية بعد أن تركت الحركة الرومانسية اثرها البالغ في تطور الاداب ومنها الادب الكردي الذي ازدهر مع مطلع القرنين التاسع عشر والعشرين على يد عدد من الشعراء يأتي في مقدمتهم الشاعر (حاجي قادر كويي) الذي يمثل مدرسة التنوير الديمقراطي في تاريخ الادب الكردي كما يقول أحمد خاني .. والشاعر عبدالله كوران الذي يمثل أعلى مستوى لتطور الشعر الكردي حين شرعت الواقعية الاشتراكية تتعاظم وتقوى في مفاصل الادب وفنونه .. فكان صوته انعطافة كبيرة حتى أن بعض النقاد إعتبره صاحب مدرسة أدبية تجديدية في الشعر من الناحيتين الفكرية والفنية .. بعد إن كانت بداياته تعتمد الغزل التقليدي ووجدانيات الحب المتحرر التي يقول عنها رفيق حلمي (ان كوران لم يضع جنس المرأة والجمال جانبا مثله في ذلك مثل سائر شعراء المدرسة الكلاسيكية .. فنظم أشعاراً غرامية كثيرة .. غير ان أشعاره بعيدة عن أشعارهم بعد السماء عن الارض .. إذ أنها لاتحتوي على تقليد .. فقد بدل المعنى نهائيا ووضع له سبيلا جديدا .. أي أنه قام بانقلاب في دنيا الشعر وفي الشعر الكردي خاصة ..(

فالمرحلة الرومانسية التي طغى عليها الخيال الذاتي المشوب بالتفاؤل والاستئثار بالجمال .. فوصف المرأة والطبيعة هي السمة الغالبة في شعره مع ابراز نواحي الجمال فيها بدقة متناهية تسلب العقول وتحرك المشاعر .. فهو يقول : -

فأنا قد عزمت أن يكون شعاع الشمس
بسمة دلال حبيبتي بعد الآن
وأن أفرح ما بقي في الحياة دفء
وأن أنبذ الألفة مع الهموم / الآثار الشعرية الكاملة / ص٢٣ .

أما في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فيتخذ كوران من منهج الواقعية الاشتراكية مسارا له ..إذ التصوير العميق لمأساة الانسانية وفضح قوى الشر وإبراز البطل الانموذجي .. فيكتب عن العمال والفلاحين ونضال الشعوب .. ويصور المرأة وطنا وأرضا وحبيبة .. فهو يقول :

(كنت بلبلا .. وأود أن أغرد
للشعب ما بقيت حيا .. وأن
أقتات على كسرة خبز يابس
وأرتدي رث الثياب) / الآثار الشعرية الكاملة / ص٢٨

وقوله:-

قل لعروسي التي زفت قبل ليلة ..إن زارت نعشي
لاتقولي قد ضحى بنفسه من أجل الوطن
ولم يعش من أجل عشقي
كان واجبا علي أن أفدي النفس لوطن
رباك لي في أحضان جباله ووهاده
/ الآثار الشعرية / ص٢٨٨ــص٢٨٩

بهذا الجو النفسي ــ الثوري يكتب كوران بعد أن فرضت الواقعية نفسها عليه مقتنعا من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٦٢ إذ شكلت هذه السنوات منعطفا جديدا في شعره .. يقول حسين علي شانوف (إن هذه السنوات نفسها إنما شكلت انعطافا أساسيا في نظرة الشاعر الى العالم) .. إذ شكلت تلك الفترة تحولا فكريا عند كوران صاحبه تحول فني من الغزل والوصف الى السياسة وشعرها .. فعن هذه الفترة يقول الشاعر (في سنة ١٩٥٠ أودعت السجن بتهمة باطلة وحرمت سنتين من الحرية. ولم يكن لهذا السجن من سبب سوى انني نظمت قضيدة بعنوان (اللحن الاحمر لكوريا البطلة) ضد المعتدين الامريكان الذين شنوا حرب الاحتلال والنهب لكوريا ..) منها:-

أيها الاحرار .. بكاء .. بكاء
وقعت كوريا الحرة كلها مرة أخرى من أجل سنغمان ري (١)
تحت أرجل العفاريت والملائك
فصارت أثرا بعد عين بأمر ماك آرثر(٢)

لقد تطور النتاج الشعري عند الشاعر بحكم تعمقه الفكري وما يحيط به من صراعات ومعاناة .. فانعطف انعطافا حادا من الناحيتين الفكرية والفنية .. فكانت المضامين الاجتماعية والانسانية والغنائيات والاناشيد السياسية شغله الشاغل .. إذ اقترابه من الحياة الواقعية واتساع نظرته للحياة والجمال والتي اتخذت طابع الشمولية .. فطغى على شعره التفاؤل وصدق العبارة وبساطتها مع لغة شعرية رشيقة وحرص شديد على إغناء شاعريته بالمضامين الانسانية والتصوير الواقعي للحياة الذي اعتمد فيه الرسم والوصف في آن واحد .. فهو يقول:

ماأجملك .. إذ تسيرين نحو الغروب وينالك صفاره
وبريق الحلي .. يترك ما حول دربك بلقاء
الشمس المودعة في المخدر تفدي موطئ قدميك
فها هو المساء .. فاحملي اذن الجرة الجديدة /الآثار الشعرية/ص٧٠

فهنا لايكتفي الشاعر برسم النقوش والزخارف .. وإنما يصور بواقعية الفتاة الكردية المرتبطة بالغروب إذ خروج الفتيات الى ينابيع المياه ..

لقد ظل الشاعر صادقا في التزامه بموقفه الواقعي ..بتجسيد الصور بجزئياتها وعرضه لوحاته الشعرية بتفاصيلها .. وهذا ما يثير القارئ عبر تماس واقعي كما يحمله على الاحساس والتفكير معا ..

فكوران كتب الشعر للمرأة لأنها موطن الجمال ومنبع النماء ..وقال الشعر لكردستان لأنه مصدر حب الوطن وقال الشعر بتآخي الشعوب لنصرة السلام ومواجهة الحروب والعيش بحرية .. فهو يقول :ـــ

وليصبح الحب الصادق .. الحب الطاهر
أمل الجميع
لنحيا حياة عزيزة .. حياة حرة
أو نمت موتا زؤاما / الآثارالشعرية/ص٣٧٨ وهنا تتجلى التعبيرات الفنية والانسانية من أجل النضال ضد الظلم .. فالهدف الذي يدعو اليه الشاعر هو الحب الصادق المؤدي الى الحياة الحرة الكريمة أو الهلاك دونه .. وقد أصاب رفيق حلمي عندما وصفه بأنه شاعر (الحب والحرية) كون منطلقات الحب والحرية لشعره الكفاحي متساوقة ومتناغمة لاوجود للمفارقة بينهما ..

فكوران لايتعامل مع الطبيعة بمعناها المجرد .. بل يتعامل معها من خلال عشق الوطن وجماله .. فكان شعره ثورة على التقوقع بالاشكال الكلاسيكية التقليدية .. لذا تأثر بشكل فاعل بالآداب الانسانية والافادة من التراث بشكله الانساني .. كونه المتذوق لجميع الفنون الانسانية .. لذا كانت قصائده متميزة بوضوحها وصدقها في المعنى والاسلوب مع التزام بقضايا الشعوب المضطهدة .. وتكريس شعره للدفاع عن الحرية والسلام .. فهو الذي اتخذ من الواقعية منهجا فكريا فاختار المفردات البسيطة العميقة البعيدة عن التعقيد والتصنع ..فاتحد سمو الشكل الفني والمضمون الانساني في أشعاره بمستوى فني وأدبي وجمالي متنام بلغة امتازت برصانتها وسلاستها وموسيقاها الهادئة حتى انها صارت جزءاً من جمال قصائده .. فهو يقول:-

يد الظالم ..تقطع مئة رأس
ولا تصل الى قلب واحد / الآثار الشعرية /ص٩٦

إنه ايقاع هادر يعلنه الشاعر ..فأيدي الطغاة لن تستطيع خنق القلوب النابضة بالحب.. وقد أصاب الدكتور عزالدين مصطفى رسول عندما قال عنه :- (لم تكن عبقرية كوران في كونه شاعراً صب مواضيع عديدة في قالب شعري وعبر بابداع عن آلام وآمال شعبه والانسان وادراكهما الجمال فحسب .. بل في كونه أيضا شاعراً مخلصا لفنه مدركاً تماماً لرسالته الفنية...)

اسرة تحرير ملحق عراقيون
علي حسين
مازن لطيف
مصطفى محمد

11

العدد (1283) السبت (26) تموز 2008
No. (1283) Sat. (26) July 2008

إشكالية الإيقاع بين الشعر وقصيدة النثر عند عبد الله كوران

لقد اكدت تجارب جميع الشعوب حتى البدائية منها ، ان الشعر يقترن اقترانا وثيقا بالايقاع والموسيقى الشعرية وان الايقاع ليس شيئا عرضيا ، او زينة خارجية يمكن طرحها بسهولة.
وعلى الرغم من ثراء الدراسات والبحوث الجمالية والنقدية العالمية والعربية اماطة اللثام عن الكثير من اسرار الشعر الداخلية الا انها لم تكشف بشكل كامل وبطريقة مقنعة الدور الخطير الذي يحتله الايقاع الشعري في التجربة الشعرية ، ولماذا يكتسب هذا الايقاع انساقا موسيقية وعروضية مختلفة حسب التنوع في التجارب والمواقف الشعرية نفسها .

جمال فخير الجنابي

ويخيل لي ان من اخطر اسرار الشعر غير معلنة تلك الجذوة الايقاع والموسيقية السرية التي تمتلئ بها القصيدة والتي تجعل من اللغة الاعتيادية لغة شعرية متوترة ومشحونة بكهيربات مستفزة وغير مرئية وهذا ما نراه في قصائد الشاعر(عبد الله كوران) فهي لها قدرة على التأثير على المخيلة والسمع والاعصاب بطريقة مذهلة برغم ما تفقده من جمالية التكوين، من نقلها الى لغة اخرى .

ففي قصيدة(ايتها الصبية الحسناء) التي نقلها الى العربية (محمد صابر محمود) يقول :

(الا ايتها الصبية الحسناء..
يا ذات الحسن والجمال
علام تقذف بك اضاليل الدل والبهاء
الى سماوات من العجب والكبرياء
لن تدوم الملاحة والرواء..
لأحد ابد الدهر..)

فلابد اساسا من توفر مقومات الخطاب الشعري الابداعي بما فيه من(شعرية تجعله يختلف اساسا عن الخطاب الاعتيادي، حتى عن الخطاب النثري، فالخطاب الشعري بوصفه(رسالة) يرتد نحو ذاته لتفجير(الوظيفة الشعرية) بمفهوم(باكوبسن) ليغدو نصا شعريا .

(كل ربيع سوف ينسل مسرعا كالبرق
ايتها الصبية الحسناء.. يا وردة باهرة السيماء
يامن تتوج هامتك الآن نشوة الاغترار..
لسوف ترين ذات يوم، وقد تساقطت اشلاء
تحت اقدام المشيب والعجز..
لتستحيل هناك نثارا من غبار..) .

فالشاعر ت.س اليوت يرى(ان موسيقى الشعر هي تمكن الفاظ الشعر من تعدى عالم الوعي والوصول الى العالم الذي يتجاوز حدود الوعي التي تقف دونها الالفاظ) ويمكن الاشارة هنا الى اهمية آراء (كوليردج) على ان(الوزن ينزع الى زيادة الحيوية والحساسية في المشاعر العامة وفي الانتباه) اما(بيتس) فيبالغ الى حد القول (ان الوزن يخلق في الذهن حالة من الغيبوبة اليقظة) ويخلص (ايتشاروز) في كتابه(مبادئ النقد الادبي) الى نتيجة خطيرة وهي(ان وصفنا الصادق للوزن بانه مخدر او مهيج او جليل او تأملي او مرح دليل على قدرة الوزن على التحكم في الانفعال على شكل مباشر) .

(الا ايتها الصبية الحسناء..
ان كنت تدفعين بالآلاف مثلي الان
بسحرك الفتان..
صرعى في حبائل العشق والجنون..
وبابتسامة استلطاف من شفتيك اذ ترفان
تملئين صدور آلاف مثلي بالهوى والهيام).

ان اي نزوع حداثي لتحديث البنية الايقاعية للقصيدة الحدثية او لقصيدة النثر يجب ان يتم في اطار الاعتراف بمشروعية الايقاع الشعري والموسيقى الداخلية .

ويأخذ بنظر الاعتبار خصوصية اللغة ذاتها، دون ان يعني ذلك التوقف عند معطيات العروض الخليلي والاوزان العربية الكمية، او التوقف حتى عند انجازات الحداثة الشعرية في الخمسينيات والستينيات .

فمن حق الشاعر ان يجرب او يبحث عن بنى ايقاعية جديدة وقد يتخلى هذا الشاعر عن نظام التفعيلة عن طريق العودة الى الوحدات الايقاعية الصغرى لهذه التفعيلة المتمثلة في الاسباب والاوتار والفواصل، وقد يجرب مرة اخرى الافادة من نظام النبر والتنغيم والوقف والتمفصل، وقد يجرب في اطار القصيدة المدورة، والبحور المختلطة .

(لكن غدا عندما يدهمك الشيب ليطوق جيدك
مثلما يحل الخريف بلونه الاصفر
عندها تطلقين الزفرات الحرى تحسرا
على قلوب ضيعتها عبثا
قلوب كانت نابضة بالشباب
قلوب من اغرموا بك حد التفاني) .

ان الشاعر(عبد الله كوران) كما نلاحظ، ينقل الحياة اليومية، وايقاع النثر اليومي الى جسد قصيدة النثر ويؤنسن الاشياء البسيطة ويصنع من لغة الحياة اليومية شعرا يعتمد الاستعارة الغريبة ويقيم علاقات صادمة بين الالفاظ .

ففي قصيدة(اجراس الفجر) التي نقلها الى العربية (شاهو عبد الله) نجد ان الشاعر يراقص احزانه بعذوبة حيث يقول:

(انين يتواصل من مكمن الغموض
كلما يتصاعد الرنين استمع الى هجس
للاصغاء لم ارتو بكلتا اذني
همسة اغنية صوت لحن
شكوى انفاس اه.. اخ
ما يقال مالمرام لست بفاهم..) .

ان بناء هذه القصيدة هو البساطة بعينها، لكن المضامين وراء هذه التعابير البسيطة والمقتضبة تخلق عالما كاملا من العلاقات التي تؤلف مهاد القصيدة، ان عناصر التوازي والتكرار هنا متميزة تماما .

لكن طول العبارات المتغير يحول دون الانتظام الايقاعي ويقرب القصيدة من ايقاع المحادثة وقد افلح بعض الشعراء بمزج مقاطع من الشعر وشعر النثر في بنية واحدة .

(ولكن كالدوامة تشاطر روحي بكاء
ايها الروح لم هذا السموق
بلا تخوم بلا مكانة
الى متى ابقى بدون معرفتك ؟
ما هذا الصوت واللحن البعيد)؟

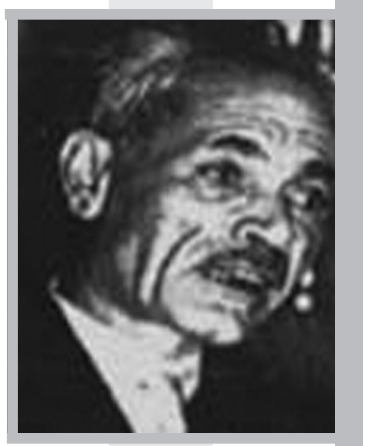

عبد اللّه كوران